**المحاضــرة الخامسة :**

## الأسلوبية الإحصائيــة

سعت الأسلوبية منذ بداياتها مع " شارل بالي" إلى الموضوعية وقد تعزز هذا المسعى بظهور اتجاه أسلوبي يقوم على مبدأ علمي رياضي في دراسة الظواهر الأدبية وهو : الأسلوبية الإحصائية .

إن الإحصاء الرياضي في الدراسة الأسلوبية هو محاولة لوصف الأسلوب وصفا موضوعيا ، وقد اعتمد هذا التوجه "فول فوكس" "Fucks " يقول: « نقيم الأسلوب كما يأتي في نطاق المجال الرياضي بتحديده من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كميا في التركيب الشكلي للنص » .

أي أن الأسلوبية الإحصائية تقوم على الكم أي القيم العددية ، إذ « تجتهد لتحقيق هذا الهدف بتعداد العناصر المعجمية في النص ، أو بالنظر إلى متوسط طول الكلمات والجمل، أو العلاقات بينهما، أو العلاقات بين النعوت والأسماء والأفعال، ثم مقارنة هذه العلاقات الكمية مع مثيلاتها في نصوص أخرى » ، فالوحدات اللغوية تخضع لعمليات حسابية ، فيتم تمثيل كل نوع منها تمثيلا عدديا ثم مقارنتها مع بعضها أو مقارنتها مع نصوص أخرى، وبيان دلالة تفوق نوع ما عدديا على نوع آخر.

فمثلا كتاب " الأيام" لطه حسين ، يتبين من خلال دراسته دراسة أسلوبية إحصائية أن الجمل الفعلية فيه تمثل نسبة 39 % في حين أن نسبة هذه الجمل في كتاب "حياة قلم" للعقاد لا تتعدى 18 % ، ومعنى ذلك أن كتاب "الأيام" أقرب إلى الأسلوب الانفعالي والحركي من كتاب "حياة قلم" الذي يميل الأسلوب فيه إلى الطابع الذهني العقلاني .

يهدف التحليل الأسلوبي الإحصائي إلى حساب العناصر اللغوية البارزة والسمات الأسلوبية الأكثر إثارة و« يعتبر الكم في حد ذاته عاملا من عوامل البروز والظهور، فالمواد

التي تتكاثف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلة بإثارة الانتباه بكميتها نفسها» ، وهو ما يساعد في الكشف عن حقائق مهمة متعلقة بالنص وصاحبه .

يشير "برلند شبلنر" إلى أهمية الدراسات الإحصائية بقوله « ومن أهم المميزات التي تختص بها الدراسات التي تعتمد على الكمية ، استخدام الحاسب الآلي في التحليل الأسلوبي، ولقد حققت المناهج الإحصائيــة الرياضيــة في التحليــل الأسلوبي نجاحـا كبيــرا في مجال التحقق من شخصيــة المؤلف ، وهذا يعني بيان صاحــب العمــل الأدبي في النصوص مجهولة المؤلف ، كذلك النصوص التي يثار خلاف حول مؤلفها» .

يعلق نور الدين السد على رأي "شبلنر"، فيرى أن عملية التحليل الأسلوبي التي يراد بها تحديد شخصية المؤلف عملية غير مضمونة خاصة إذا كانت النصوص متشابهة ومؤلفوها كثر، وينتسبون إلى حركة أدبية واحدة ، فيشتركون بذلك في نفس الملامح الأسلوبية ، غير أن هذه العملية قد تساعد الباحث على تصنيف مجموعة من النصوص ضمن مدرسة أدبية معينة وفقا لغلبة عناصر أسلوبية وكثافتها في هذه النصوص الأدبية .

فالأسلوبية الإحصائيــة تسهم في تحديد القرابة الأدبية وتعمل على تخليص الأسلوب من الحدس الخالص باعتمادها حدسا منهجيا موجها، غير أن الذي أخذ عليها هو عجزها عن وصف الطابع المنفــرد والخاص للأعمــال الأدبيــة بشكل دقــيق ، وهو ما تنبه له محمد الهادي الطرابلسي الذي حرص على المزاوجــة بين الجانب العلمي والجانب الذوقي في الدراسة الأسلوبية ، يقول : « إن الدراسة الأسلوبية التي تعنى بمعالجة الكلام المكتوب عملية نقدية تتركز على الظاهرة اللغوية ، مادة الكلام الأساسية ، وتبحث في أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه ، لذلك يشترط في المُقدم عليها ثقافة مزدوجة لغوية أولا لأن مادة الكلام هي اللغــة وأدبيــة ذوقيــة ثانيا ، لأن جوهر الكلام هو الجمال... ذلك لأن الدراسة الأسلوبية إن بقيت تنشد العلمية في منهجها فلا تتخلص تماما من ربقة الاعتبارات الذوقية ، وإنما لمجــرد تهذيــب هذه الاعتبارات وللتحكم بعض الشيء في مستعصياتها » ، ويؤكد

على الجمع بين الجانبين العلمي والذوقي ، في بحثه « في منهجية الدراسة الأسلوبية » ، فقد قسمه قسمين قسم نظري أكد فيه على العلاقة بين الانطباع والإحصاء ، وقسم تطبيقي درس فيه نموذجا لجملة وردت في كتاب " البخلاء " للجاحظ .

كما أنه اعتمد المنهج الأسلوبي الإحصائي في كتابه " خصائص الأسلوب في الشوقيات " متحريا الموضوعية والعلمية ، لأن الأعمال التي تناولت شعر أحمد شوقي لم تكن كذلك فهي « في الجملة أعمال انطباعية، لا تكاد تقترب من درجة العلمية، أو تسلك سبل الموضوعية » ، وينطلـق في منهجــه من المقدمــة فيبدأ بإحصـــاء ما خلفــه شوقي من أشعار، ليبين مكانته بين الشعراء العرب ، يقول : « فقد عرف الناس من شعر شوقي عدا مسرحياته الشعرية ديوان الشوقيات في أربعة أجزاء ، ويضم في طبعاته الأخيرة 11320 بيت ، حتى كانت سنتا 1921–1962 حين نشر محمد صيري " الشوقيات المجهولة " في جزأين ضمنها ما يقرب من 4700 بيت من الشعر، وهو مع ذلك لم ينشر كل ما اهتدى إليه من شعر شوقي... فإذا جمعنا تحصلنا على ما يقرب 17500 بيت معروف من شعر شوقي ، وهو عندنا الرقم القياسي الذي أمكن لشاعر عربي أن يصل إليه شعره ، إذ هو يتجاوز المقدر من مجموع أبيات ابن الرومي ( من 16000 إلى 17000) والذي اتخذ مثالا في الخصب في الشعر العربي» .

كما ذهب العديد من النقاد العرب إلى اعتماد المنهج الأسلوبي الإحصائي في تحليل النصوص الأدبية، فقد نهج محمد العيد في بحثه "سمات أسلوبية في شعر صلاح عبد الصبور" هذا المنهج وفق خطوتين أساسيتين هما: الوصف اللغوي المجرد للمثيرات اللغوية ذات القيمة الأسلوبية أولا، ثم وصف تأثيراتها الدلالية والجمالية ثانيا، كما اعتمد سعد مصلوح التحليل الإحصائي للنصوص في كتابه "الأسلوب"، مبينا أن النص الأدبي عند مؤلف بعينه أو في جنس بعينه يمتاز باستخدام سمات لغوية معينة ، ويشترط صلاح فضل

في الدراسة الأسلوبية الإحصائية ، اقتران الإحصاء بتحليل موضوعي للظواهر الأسلوبية وتحديد أبعادها الوظيفية والجمالية والدلالية في الخطاب الأدبي .

فالأسلوبيـة الإحصائيــة تهدف إلى إحصاء السمات الأسلوبية البارزة في النص الأدبي " المثيرات " ، وذلك بحساب نسب تكرارها، وبيان أثرها الجمالي في النص الأدبي أي استخلاص الأبعاد الجمالية في النص بطريقة علمية موضوعية .